إيجلتون» Terry Eagleton أن يطوروا البحث في هذا الاتجاه مع تركيزهم على دراسة طبيعة التكوين البنيوي للأدب في علاقته بأنماط الفكر الأخرى وأصبحت النظرية النقدية الأدبية على أيديهم تربط الشكل الأدبي بالواقع الإيديولوجي والاجتماعي[46]. ولا بد أن نشير هنا إلى أن استفادة ماشيري خاصة من فكرة التوسير عن الدور الفعال الذي تلعبه الإيديولوجيا بالنسبة للواقع أحياناً، جعلته يتجاوز اعتبارها دلالة أو تعبيراً ليصبح لها أيضاً دور معرفي، إلا أن هذا الدور لا يطغى أبداً على الجانب التوهمي فيها. بمعنى أن الجانب التوهمي يبقى رغم كل شيء غالباً. ومعلوم أن ماشيري وإن كان ينظر إلى الإيديولوجيا باعتبارها حاملة لِمَا هُوَ معرفي ووهمي فإنه يرى أن الطابع التوهمي لإيمان الفرد بالإيديولوجيا هو تعويض ضروري لشعوره بالحرية في مجتمع السوق الرأسمالي[47].

ويرى ماشيري أيضاً أن الإيديولوجيا غير قادرة على إدراك عجزها أمام أسئلة الواقع من تلقاء نفسها، خصوصاً إذا هي لم تقدر على ترجمة هذه الأسئلة إلى لغتها الخاصة. ونقطة الضعف الجوهرية في الإيديولوجية هي أنها غير قادرة أيضاً على معرفة حدودها الفعلية[48]. وهذه هي الخاصية الأساسية للإيديولوجيا السياسية، لأنها إذا أُخِذَتْ من خلال نظرتها إلى ذاتها فهي تَعْتَقِدُ أنها تامة وشمولية أي أنها رؤية كاملة للكون ولا يَأْخُذَ نسقها في التصدع إلّا عندما تتدخل عناصر خارجية عنها لتُسائلها، وهذا ما جعله يقول إن الإيديولوجيا «سجينة حدودها»[48].

وينتقل ماشيري بعد هذا إلى استنتاج نرى أن له أهمية بالغة بالنسبة لفهم الكيفية التي ينبني بها النتاجُ الأدبي بواسطة المكونات الإيديولوجية.

فلكون الإيديولوجيا المُفردة حبيسة حدودها، فإنها في نظره لا تستطيع أن تشكل نسقاً، لأن النسق شرط ضروري للتناقض، ويقصد بالنسق هنا النتاج الأدبي باعتباره بنية تركيبية متميزة بالتناقض. ولا يمكن أن يحصل هذا التناقض إلا داخل النسق(*). **ونظراً لأن الإيديولوجيا منكفئة على ذاتها ومنسجمة مع نفسها فهي غير قادرة وحدها على تشكيل نسقٍ في النتاج الإبداعي.**

«إن الإيديولوجيا باعتبارها عالماً مبنياً حول شمس كبرى غائبة فهي مصنوعة من كل

---

(46) التوسير: **البنية ذات الهيمنة، التناقض والتضافر**. (مقال مذكور)، انظر مقدمة المترجمة فريال غزول، ص 46.

(47) عبد الله العروي: **مفهوم الإيديولوجيا**، ص 94 - 85.

(48) **P. Macherey: Pour une théorie de la Production littéraire**, P. 153 - 154.

(*) يبدو أن النسق عند ماشيري هو نقيض الانسجام الذاتي للنص. وبهذا المنظور فالإيديولوجيا السياسية باعتبارها تنظر إلى نفسها كشيء تام ومنسجم فهي غير قادرة على تشكيل نسق. غير أن النتاج الروائي المُمَثَّل بأعمال تولستوي، مثلاً، هو نسق لأنه يحتوي على ايديولوجيات متناقضة.